قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

حجّ مبرور وسعي مشكور!

وقائلٍ هل تريد الحجّ؟ قلتُ له:
نعم إذا فنيتْ لذّاتُ بغداد!

هذا بيت شعر للعظيم أبي نؤاس، أيام كانتْ بَغداد دار لذة لا تنقضي، أيام كان اسم الرفاهية بغددة، متع كثيرة كانت تمنع أبا نؤاس من الزهد المؤجل أبداً، متع حلقات الأدب والشعر ونوادي اللهو وحلقات الكلام والموسيقى والغناء "كان في بغداد آنذاك أربعمئة مطرب ومطربة، أي أن أربعمئة حفلة غنائية كانت تقام في أمّ العواصم، هذه الأرض المغبرة الكالحة التي نقيم عليها الآن".

حجّ أبو نؤاس وتاب متأخراً كما يشاع، وكتب في توبته قصائد، لكنه عاش حياته كما يشتهي بما يمنحه حقّ أن يصرخ كما صرخ شاعر معاصر هو نيرودا "أشهد أنني قد عشتُ".

اليوم فنيتْ لذات بغداد كلها، لا العين تستلذ فيها بعد أن ملئتْ قذارة وصبات كونكريتية وزحمة سير بسبب مواكب المسؤولين وطريقة بناء بلهاء جلبها متنفذون حديثو النعمة الأكثر بلاهة الذين لا يعرفون من العمارة سوى تغليف "الدبل فاليوم" بـ"الالكابوند" ليصبح البناء قبحاً على قبح.

ولا الأذن تلتذ بالمسموعات، ضوضاء وصفارات مواكب غبية وأصوات سياسيين لا تماثلها قبحاً وصفاقة إلا أصوات المطربين الجدد الذين يتنافسون في التفتيش عن أقبح كلام وأسخف لحن لنجاح أغانيهم.

ليل بغداد ينتهي سريعاً مظلماً، النوادي الاجتماعية عرضة لغارات إيمانية كلّ يوم، شارع "أبو نؤاس" يحفر وتقتلع أشجاره وبدلاً من المحال على جانبيه سيتم إنشاء مرآب كبير.

اليوم التفت الوحش المرعب إلى شارع المتنبي، جرف بالشفلات بسطات الكتب التي كنا نتباهى بها، فهي التي تصنع "أكبر شارع مخصص للكتب في العالم". ويقال أن غارات أسبوعية ستشنّ بحثاً عن كتب وأقراص تسبب الحكة لأهل العقائد الأتقياء.

مقاهي المثقفين أغلقت. مؤسسات الثقافة يسيطر عليها متملقو الأحزاب الإسلامية ممن حج أو اعتمر ودمغ جبهته حديثاً ليساير الموضة العراقية الحديثة.

نعرف أن حكومة هؤلاء. مثلها مثل عقائدهم. تزدهر بالجهل والتضليل والدجل، وأن الأمية سوقهم وطريقهم إلى قلوب الناس وإلى جيوبهم، ونعرف أن كراهيتهم المعرفة لا توازيها سوى كراهيتهم حبّ الحياة. ولذا فإن أبا نؤاس "الشاعر" يتساوى لديهم مع أبي نؤاس "الشارع" كلاهما حرام. وإن المتنبيّ شاعراً وشارعاً يفضح حقيقة أن الساسة الإسلاميين الذين ابتلينا بهم لا يرون في الحياة لذة سوى جمع المال ومراكمته، وألذه ما كان حراماً، مختلساً أو مسروقاً من قوت العراقيين. وكلهم، كلهم يتبارون في اللصوصية حتى بتنا لا ندري أيهم يستحق لقب علي بابا.

والآن؟ إذا اندثر شارع الكتب، وانتهى كونه ملتقى أسبوعياً لمثقفي بغداد، فقد فنيت لذات بغداد حقاً، لم يبق شيء يستلذ به، نحن الذين لا نرى في المال لذة تعدل لذة قراءة كتاب أو لقاء مع زميل.

فنيت لذات بغداد، فهل علينا أن نعمل بوصية جدنا أبي نؤاس، أن نذهب للحجّ، ندمغ جباهنا بدمغة الدجل ونمسك السبحة ونسبح بحمد أولي النعمة الجدد .. لنكمل هذا المشهد الذي تمسخ فيه بغداد الآن على أيدي وحوش طالعة من ظلمات بعضها فوق بعض.

كيف نصنع الدكتاتور؟

□علاء الأسواني×

«منذ أدائه اليمين الدستورية في ٣٠ يونيو/ حزيران الماضي، لم يقم الرئيس مرسي بأية إجازات خاصة يقضيها مع أسرته...حتى أيام العطلات الرسمية، كان الرئيس مرسي يقضيها داخل القصر الجمهوري من أجل إدارة شؤون البلاد وإجراء المقابلات الرسمية مع الضيوف والمسؤولين.. أخيرا، استطاع الرئيس مرسي الحصول على إجازة ٤٨ ساعة قضى خلالها أول وثاني أيام عيد الفطر مع أسرته بمدينة برج العرب، بعيدا عن مسؤوليات العمل الرسمية، ورغم ذلك لم يستطع الإفلات من ٢٢ اتصالا هاتفيا مع زعماء دول عربية وغربية للتشاور حول الأوضاع الإقليمية والدولية».

كان هذا نص الخبر الذي تصدر الصفحة الأولى في جريدة «الأهرام»، والهدف واضح .. فكل من يقرأ الخبر لابد أن يقول لنفسه : «مسكين هذا الرئيس.. إن المهام الثقيلة التي يؤديها لا تترك له الفرصة لكي يستمتع بإجازة ولو يوما واحدا مع أسرته».

مع أن الحقيقة أن الرئيس مرسي لم يمض في منصبه سوى أسابيع قليلة وهي فترة لا يحتاج المرء بعدها عادة إلى أية إجازة، كما أن الرئيس لا يمسك التليفون بيده ليجري اتصالاته الدولية وإنما لديه معاونون كثيرون سيطلبون له الأرقام وما عليه بعد ذلك إلا أن يتكلم قليلا وهو مستلق في فراشه أو جالس على مقعد مريح...

هذه الأخبار الكاذبة المليئة بالنفاق تتكرر الآن في إطار عملية تصنيع الديكتاتور التي تحدث للأسباب التالية:

أولا : ماكينة الاستبداد

ورث الرئيس مرسي نظام مبارك بالكامل: أجهزة قمع على استعداد للتعذيب والاعتقال والقتل وإعلام فاسد كاذب يعتمد على الولاء للنظام بغض النظر عن الكفاءة وأجهزة حكومية تعودت أن تنفذ تعليمات الرئيس مهما كانت وتتغنى بحكمته.

كان المتوقع من أول رئيس منتخب بعد الثورة أن يؤسس لديمقراطية حقيقية لكنه للأسف حافظ على ماكينة الاستبداد التي ورثها عن مبارك وبدأ يوجهها لمصلحته.

فبدلا من رؤساء تحرير الصحف القومية الذين طالما نافقوا مبارك، عين مجلس الشورى (عن طريق مسابقة غامضة) رؤساء تحرير يدينون بمناصبهم إلى الإخوان المسلمين، وبدلا من وزير إعلام برتبة لواء يمنع نقد المجلس العسكري جاء وزير إعلام إخواني ليمنع المسلسلات التي تنتقد الإخوان..

وبدلا من تعيين محافظين موالين لمبارك تم تعيين محافظين موالين للإخوان المسلمين، وبدلا من قانون الطوارئ الذي ارتكب مبارك في ظله جرائم بشعة ضد المصريين، يتم الإعداد الآن لقانون طوارئ جديد لخدمة الرئيس مرسي.

وقد عرفت من مصادر موثوقة أن كبار الضباط في جهاز أمن الدولة يتوددون الآن لقيادات الإخوان المسلمين، يعتذرون عن الجرائم التي ارتكبوها في حقهم أيام مبارك ويعرضون عليهم خدماتهم . إن أجهزة الأمن التي لم تتغير بعد الثورة قد تتحول في أية لحظة إلى أداة قمع في يد الرئيس والإخوان المسلمين.

ثانيا : الضعف الإنساني

مهما كان الإنسان متواضعا فإنه إذا تولى السلطة غالبا ما يكون ضعيفا أمام النفاق، وشيئا فشيئا سوف يصدق كلمات المديح ويعتبر أنه يستحقها عن جدارة.

في كتابه الرائع «ماذا حدث للثورة المصرية ؟» يحكي المفكر الكبير جلال أمين تجربته عندما كان أستاذا في الجامعة الأمريكية، ففي الأيام التي يلقي فيها محاضراته كان الطلاب يتوافدون على مكتبه ليسألوه أو ويطلبوا منه أشياء تتعلق بالدراسة وبعد أن يقضي لهم طلباتهم كان هؤلاء الطلاب كثيرا ما يشكرونه بطريقة زائدة أو يمدحونه بإفراط ،وهنا يقول الدكتور جلال أمين:«لاحظت أنني في مثل هذه المواقف تعتريني لبعض الوقت درجة لا يستهان بها من الإعجاب بالنفس والغرور إذ أصدق ما قيل عني وأعتبره صادقا لمجرد أنني أحب أن يكون كذلك».

هذه الدرجة العالية من مراقبة النفس ومقاومة الغرور التي يتمتع بها الدكتور جلال أمين لا تتوفر عند معظم الناس.

لقد رأينا كيف ذهب الرئيس مرسي في زيارة عادية إلى الصين ليبحث وسائل التعاون معها، فإذا بوسائل الإعلام تصور زيارته على أنها فتح مبين ويتبارى أساتذة العلوم السياسية في شرح الفوائد الكبرى التي ستعم البلاد والعباد من زيارة مرسي التاريخية للصين.

وقد ظهرت فجأة جمعية مجهولة تسمي نفسها منظمة السلام العالمي وأعلنت أنها قررت منح الرئيس محمد مرسي جائزة السلام العالمي لعام ٢٠١٢ ،ونحن نتساءل: لماذا لا تنتظر هذه المنظمة حتى نهاية العام حتى تتأكد من جدارة الرئيس مرسي بالجائزة بل وماذا فعل الرئيس مرسي أصلا ليستحق أية جائزة وقد فشل حتى الآن في تقديم أي حل لمشكلات مصر المعقدة المزمنة ؟!

إن تصنيع الديكتاتور يجري على قدم وساق وقد بدت على الرئيس مرسي للأسف علامات الاستجابة للنفاق فرأيناه يطلب قرضا كبيرا من صندوق النقد الدولي بدون أن يستشير المصريين الذين سيدفعون من أموالهم قيمة القرض وفوائده، وبينما تتقاعس الشرطة عن حماية المصريين وتضطر المستشفيات إلى إغلاق أبوابها خوفا من هجمات البلطجية لا يجد الرئيس حرجا في أن يتجول في حراسة ثلاثة آلاف جندي وعشرات الضباط والقناصة بل إنه لم يتحرج كرئيس إسلامي وهو يرى جنود الحراسة يمنعون المصلين من دخول الجامع الذي يصلي فيه.

المعنى هنا أن أمن الرئيس أهم بكثير من أمن المواطن . نفس المفهوم الذي كان سائدا أيام مبارك يعاد إنتاجه من أجل الرئيس مرسي.

تأليه الحاكم صناعة عربية بامتياز

ثالثا :التنظيم السري

الرئيس مرسي منتخب من الشعب إلا أنه ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين وهي حتى الآن تنظيم سري غامض . كم يبلغ عدد الإخوان المسلمين، وهل لديهم جناح عسكري، ومن أين يحصلون على الأموال الهائلة التي ينفقونها في الانتخابات، وهل يتلقون تمويلا خارجيا؟ كل هذه أسئلة بلا إجابة لأن الإخوان المسلمين يرفضون تقنين أوضاع جماعتهم وبالتالي فإن المواطن المصري يتعامل مع رئيس منتخب لديه جزء غاطس مجهول.

نحن لا نعرف الحدود بين رئاسة الجمهورية ومكتب الإرشاد ولا العلاقة بين رئيس الدولة ومرشد الإخوان وبالتالي يظل تنظيم الإخوان بمثابة ذراع سرية للرئيس مستعصية على رقابة الشعب ومحاسبة الدولة.. وقد رأينا كيف هاجمت مجموعات منظمة مدينة الإنتاج واعتدت على الإعلاميين المناهضين للإخوان ثم سارعت قيادة الإخوان ورئاسة الجمهورية بإدانة الهجوم . مادامت جماعة الإخوان غير شرعية وترفض رقابة الدولة فإن الرئيس مرسي يمتلك تحت إمرته تنظيما سريا يستطيع في أية لحظة التدخل بشتى الطرق من أجل إبقاء الرئيس في السلطة.

رابعا : التراث الديني

الرئيس مرسي إسلامي ولذلك فهو يستعيد التراث الإسلامي في خطبه ومواقفه جميعا وهذا مفهوم، المشكلة أن علاقة الحاكم بالمواطنين في التراث الإسلامي لها مفهومان متناقضان. لقد قدم الإسلام مفهوما ديمقراطيا للسلطة تجلى في حكم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ما أن تولى أبو بكر الحكم حتى ألقى خطبة عظيمة بدأها قائلا:

«أيها الناس قدُوليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني».

هذه الجملة كانت بمثابة دستور ديمقراطي يعتبر الحاكم رجلا عاديا في خدمة المواطنين ومن حقهم نقده وتقويمه وخلعه من منصبه.. لكن هذا المفهوم العادل سرعان ما يختفي في التاريخ الإسلامي لينادي فقهاء كثيرون بوجوب طاعة الحاكم المسلم حتى ولو كان ظالما وفاسدا !

هذا المفهوم الاستبدادي البعيد عن صحيح الدين يمهد لصناعة الديكتاتور ويفسر لنا لماذا رفض كثيرون من مشايخ السلفية الثورة ضد مبارك، ولماذا تعاونوا مع أجهزة الأمن، ولماذا أجاز بعض الفقهاء قتل المتظاهرين الذين يطالبون بإقالة مرسي . إذا أراد الرئيس مرسي أن يبقى في السلطة بعد انتهاء ولايته فإن هؤلاء المشايخ سيؤيدونه غالبا لأن قراءتهم الخاطئة للإسلام لا تعترف بمبدأ تداول السلطة .

خامسا : متلازمة ستوكهولم

اندلعت الثورة وخلعت مبارك وحاكمته وألقت به في السجن، لكن بعض المصريين مازالوا يتعاطفون مع مبارك، بعض هؤلاء المتعاطفين موقفهم مفهوم لأنهم استفادوا من نظام مبارك، لكن الغريب أن هناك مصريين عانوا بشدة من ظلم مبارك وفساده، لكنهم مع ذلك يدافعون عنه ويتعاطفون معه. هؤلاء في رأيي مصابون بمرض متلازمة استوكهولم (Stockholm syndrome) .

ففي عام ١٩٧٣ هاجم بعض اللصوص أحد البنوك في استوكهولم وأخذوا أربعة موظفين (ثلاث نساء ورجل) رهائن لمدة ستة أيام وكانت المفارقة في أن المختطفين بعد إطلاق سراحهم تكونت بداخلهم مشاعر تعاطف وارتباط بالجناة، حتى صار رجال الشرطة بالنسبة لهم أعداء، والخاطفون هم الأصدقاء. إن متلازمة استوكهولم كما تصيب الأفراد تصيب الشعوب التي تتعرض للاستبداد لفترة طويلة، إذ يتعلق بعض الناس بالطاغية مع اعترافهم بظلمه وفساده، لكن وجوده في السلطة يمنحهم إحساسا بالأمن، ويكون بالنسبة إليهم الأب الذي يحميهم من شرور العالم فهم يتعلقون به مهما ظلمهم وقمعهم .. هذا القطاع من المصريين الذي لا نعرف حجمه لا يمكن أن يتعامل مع الرئيس باعتباره موظفا عاما، فهم يشتاقون إلى طاغية يحميهم ويقمعهم ويحسون بضعفهم وضآلتهم أمامه.

هؤلاء المرضى بمتلازمة استوكهولم بعد أن تأكدوا من أن مبارك لن يعود بدأوا يتعلقون بالرئيس مرسي ويبررون كل أفعاله مهما كانت خاطئة و يصورونه باعتباره زعيما ملهما جاء لينقذ الأمة بحكمته وشجاعته.

في ظل هذه العوامل يتم الآن تصنيع ديكتاتور جديد لمصر. لقد أعلن الرئيس مرسي مرارا أنه يرفض الاستبداد لكن التجربة علمتنا أن كل من حكم مصر قد بدأ متواضعا طيبا مدافعا عن حقوق الناس ثم تحول شيئا فشيئا إلى طاغية ليرتكب أبشع الجرائم من أجل الاحتفاظ بالسلطة. إن الرئيس مرسي يتحول أمام أعيننا من رجل عادي فاز بالانتخابات بفارق ضئيل للغاية إلى زعيم الأمة الملهم والحكيم العظيم ورجل الثورة وبطل السلام ،إلى آخر هذه الألقاب المزيفة التي أغدقها المنافقون على كل من حكم بلادنا.

إن الثورة المصرية قدمت آلاف الشهداء والمصابين من أجل الكرامة وحرية والعدالة الاجتماعية ،وهذه المبادئ لا يمكن أن تتحقق إلا بعد أن نرسخ في الأذهان أن الرئيس مجرد موظف مهمته أن يخدم المواطنين ويجب أن يحاسب بشدة على أخطائه كما يجب أن يتحمل النقد مهما كان قاسيا أو متجاوزا لأن الغرض منه الصالح العام..

مهمة الثورة الآن في رأيي أن تمنع صناعة طاغية جديد.. عندئذ سنبني الدولة الديمقراطية التي مات من أجلها الشهداء.

الديمقراطية هي الحل.

× عن صحيفة "المصري اليوم"

بين عيون ذي قار..وإيدز فرنسا!

أشجار (أبو نؤاس) وأحزان الرصافي

□سليمة قاسم

اعتدت أن أمر مرور الكرام على الصفحات المحلية في معظم صحفنا اليومية التي أطالعها صباح كل يوم، فهي تحمل في طياتها الكثير من الألم ، وتتراوح أخبارها بين تردي مفردات البطاقة التموينية وشح المياه وضعف الطاقة الكهربائية والنقص في الخدمات، فضلا عن التفجيرات والاغتيالات والقبض على العصابات وغيرها من المشاكل التي تعطي دليلا صارخا على فشل حكومي بامتياز في وضع الحلول الناجعة لمعالجتها. كونها انعكاساً لتداعيات الأزمة السياسية التي تتصدر عناوينها الصفحات الأولى.

قبل أيام وفيما كنت اقلب إحدى الصحف استوقفني خبر صغير يتحدث عن فشل تسع عمليات جراحة عيون في يوم واحد بمحافظة ذي قار. أثار ذلك الخبر فضولي فحاولت العثور على تفاصيل أكثر بين طياته، واكتشفت أن فشل تلك العمليات التي أجريت لزرع عدسات العيون في مستشفى الحبوبي في الناصرية أواخر حزيران الماضي تسبب في فقدان جميع المرضى بصرهم!

ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد، بل نتج عنه مضاعفات خطيرة، إذ تم نقل المرضى الذين فقدوا بصرهم بصورة عاجلة إلى مستشفى ابن الهيثم في بغداد، لقلع عيونهم من محاجرها خشية من انتقال الالتهابات إلى الدماغ، فضلا عن أن جميع المرضى الذين فقدوا بصرهم يعانون آلاما مبرحة وغموضا عن مدى إمكانية أداء وظائفهم الحياتية في المستقبل!

رحت أبحث في محرك البحث"كوكل" على شبكة الانترنت للحصول على معلومات مفصلة عن الحادث المؤلم، فعرفت أن دائرة صحة ذي قار رفعت دعوى قضائية ضد إحدى القنوات الفضائية حين نشرت تقريرا عنه!

أما الجهات صاحبة العلاقة ، وهي مجلس محافظة ذي قار ودائرة صحة ذي قار، فقد حاول كل طرف فيها تبرئة ساحته، وأخذت كعادتها تتبادل الاتهامات -شأنها شأن القوات الأمنية بعد كل حادث تفجير- وقد وصل الأمر إلى حد توجيه اتهامات إلى أطراف معينة ومحاولتها توجيه ضربة إلى سمعة الطب في المحافظة!

فيما طرحت تبريرات أخرى تركزت على تسمم العدسات وتلوثها، فضلا عن قلة نظافة صالة العمليات وعدم اهتمام الأطباء بصحة مرضاهم حين يراجعون المستشفيات الحكومية.

الغريب أن الحادث طواه النسيان بعد مدة قصيرة من وقوعه في خضم الاحداث المتسارعة التي يشهدها البلد، وأصبح أولئك المرضى الذين فقدوا بصرهم حالة مؤلمة نتوقف عندها قليلا لننتقل إلى أخرى أشد إيلاما مثل الانفجارات والاغتيالات وهي تعطي دليلا صارخا عن الاستخفاف بحياة المواطن وسلامته سواء من قبل الجهات الأمنية أم الصحية.

وتحولت تلك المأساة إلى خبر صغير يأتي ذكره في بعض الصحف و يمر خجلا في تايتل القنوات الفضائية .أما كيف يعيش أولئك المرضى حياتهم الجديدة بعد فقدانهم البصر، فقد تجسد في محاولة احد المرضى الانتحار بسبب تردي وضعه النفسي بعد ما حدث!

تذكرت حادثا مماثلا وقع في فرنسا في ثمانينات القرن الماضي، إذ أصيب خمسة مرضى بالايدز نتيجة تلوث أجهزة الفحص في عيادة طبيب أسنان، أثيرت ضجة كبيرة على خلفية الحادث وردود أفعال غاضبة ولم تنته القضية إلا باستقالة وزير الصحة الفرنسي!

لا نريد أن يستقيل وزير الصحة أو أي من طاقمه الوظيفي، فحل المشكلة لا يكمن في الاستقالة، ولكننا نريد الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى وقوع مثل هذه المأساة، ومعرفة الملابسات التي رافقت إجراء العمليات التسع ونشرها في وسائل الإعلام وتعويض المرضى تعويضا يتناسب مع حجم الضرر الذي أصابهم ومحاولة تصويب أخطاء المؤسسات الصحية وإزالة ما ترتب على ذلك من آثار لعل أخطرها فقدان الثقة بالمؤسسة الصحية في محافظة ذي قار وفي البلد ككل.

□ميسلون هادي

نتمنى أن تكون الأخبار التي سمعناها عن أشجار شارع أبي نؤاس أخباراً كاذبة، أو هي مجرد تهويل إعلامي لا يستند إلا إلى غصن صغير سقط سهواً من شجرة معمرة تعيش في شارع أبي نؤاس منذ عشرات السنين،أو إلى ورقة جفت وسقطت من شجرة عتيقة تمد جذورها عميقاً في شاطئ دجلة الخير..لأن هذا الخبر لو كان صحيحاً، فإن الأمر يستدعي إيقاف هذه الكارثة فوراً وقبل فوات الأوان. ليس لأن في الرأس بقية من عقل وحسب، ولكن لأن هناك قانوناً قديماً يغرم كل من يقطع شجرة عقيمة أو مثمرة في بغداد بغرامة مالية كبيرة.. وأذكر أنه في تسعينات القرن الماضي جاءنا لمجلة ألف باء صيدلي في منطقة السعدون يشكو أمانة بغداد لأنها غرمته (ثلاثين ديناراً) بسبب قطعه شجرة عملاقة كانت مزروعة قرب باب الصيدلية.. وقتها كتبت موضوعاً أشكر فيه أمانة بغداد على فعلتها الراقية تلك، وأكبرت فيها تلك الغرامة التي ترقى بنا إلى مصاف الدول المتحضرة والمحترمة، وأبدى الجميع سعادتهم بهذا القانون الذي لم نكن نعلم به لولا ذلك الصيدلي الذي لم يتعاطف معه أحد.

والحقيقة إني لا أزال غير مصدقة لهذا الخبر الأليم، لأنه، والحق يقال، إذا ما كان هناك جهد يذكر لأمانة بغداد في الفترة الأخيرة فهو حملاتها المكثفة لتشجير أغلب شوارع بغداد، وهذا الجهد الطيب هو مما يثلج القلب حقاً وسط الخراب الذي تشهده شوارعها وأزقتها الفرعية التي تحولت إلى ما يشبه (القيصريات) بسبب عملية قصابة من نوع آخر قوامها تحويل كل بيت كبير إلى بيوت صغيرة واجهة كل واحد منها لا تتجاوز الأربعة أمتار، مما يخالف ما كان معمولاً به في القانون سابقاً بعدم جواز الفرز للبيت الذي تقل مساحته عن ٢٠٠ متر . وهذه الظاهرة بدأت تتوسع بشكل مرعب في كل المناطق السكنية بسبب تفاقم أزمة السكن وغلاء الإيجارات، وبدلاً من الشروع ببناء المجمعات السكنية العملاقة لاستيعاب الحاجة المتزايدة لسكن الشباب وعوائلهم الجديدة، يتم قتل رحابة بغداد وجماليات شوارعها السكنية بترك الحبل على الغارب لمثل هذه التجاوزات التي شملت كل أحيائها السكنية بدون استثناء، بل شملت حتى الأرصفة التي تحولت إلى محال حلاقة ودكاكين وما أشبه.. ولا أدري كيف سيمكن وقف هذه التجاوزات في المستقبل بعد أن شيدت آلاف البيوت بهذه الطريقة المخالفة للقانون؟

إن الأمل بأن تستعيد بغداد عافيتها (العمرانية على الأقل) سرعان ما يصطدم بمثل هذه الفوضى العارمة التي طالت أحياء جميلة كحي الحارثية الذي اقتحمت أزقته بعض الدوائر الحكومية أو المصالح الخدمية (كدائرة الهجرة والمهجرين) فحولت أجمل شوارعه إلى ما يشبه كراج العلاوي أو سوق الشورجة.. وحدّث ولا حرج عن شارع الكندي الذي فقد آخر بريق له مع زحف العيادات والصيدليات على كل ركن وزاوية فيه.. وها هي الشوارع الأربعة في حي اليرموك سائرة على الدرب نفسه دون أن يحرك أحد ساكناً حول هذه الفوضى..

يحدث هذا في الأحياء التي كانت تعد أحياءً جميلة وهادئة في ما مضى، فما بالك بمناظر كئيبة وخربة في كل زاوية منسية بعيدة أو قريبة من زوايا بغداد.. إبتداءً من بوابات بغداد الرثة وانتهاءً بشارع الرشيد من بابه المعظم وحتى بابه الشرقي.. مروراً بتمثال الرصافي الجميل الذي تحيط به القاذورات والكارتونات وفوضى عربات النقل التي تجرها الحمير. وإذا كان هذا الخراب كله لا يظهر للعيون التي تنظر من الزجاج المظلل لسيارات الدفع الرباعي، فإن بغداد مازالت في خاطر عشاقها، من أرباب الثقافة والصحافة والجمال، حلماً ورديا جميلاً لن يدب له اليأس،وسيتشبثون بها أنيقة عظيمة حتى وإن قفز الكثير من سفينتها التي تجنح نحو المجهول.

الرصافي محاطاً بأكوام القمامة